خطر الصيد الجائر والإتّجار غير الشرعي في العراق يُزيد من تهديد الحبارى

يُعد طائر الحبارى الآسيوية (Asian Houbara Bustard ***Chlamydotis macqueenii***) من الطيور الكبيرة والمعروفة على الصعيد الشعبي، والذي يستوطن السّهوب والأراضي الرملية والحصويّة شبه الصحراوية. يستوطن هذا النوع ويفرخ في الصين ومنغوليا وأواسِط آسيا غرباً الى إيران ويشتّي في منطقة الشرق الأوسط. يُعتبر هذا النوع من الحبارى من الطيور المهددة، ويحتل منزلة وسطيّة من ناحية الخُطورة على سلم القائمةِ الحمراء للأنواع المهددة حيث تم وصفهُ كنوع "معرض للأذى - Vulnerable" مع تدهور ملحوظ في أعداده خصوصاً في مناطق التّشتية حيث بلغ النقصان في التعداد 25% خلال العقدين المنصرمين. لقد دفعتْ عدة عوامل الى إيصال هذا الطائر الى هذه المنزلةِ المتقدمةِ في التهديد، منها الصيد الجائر والصِّقارة الغير مقنّنة وتدمير الموائل والإزعاج أثناء فترة تفريخها. ولتدارك هذا الوضع الخطير نجد هنالك جهوداً حثيثة لإكثار وإطلاق أعداد جديدة الى البريةِ في منطقة دول الخليج وكازاخستان والمغرب وغيرها.

الحبارى ألآسيوية: تصوير مظفر عبد الباقي

فيما يخصّ العراق، فالحبارى الآسيوية زائرٌ شتويٌ واسع الإنتشار نسبياً لكن عاداته في التخفّي تجعل منه طائراً غير مرئي بسهولة. تفد المجاميع الأولى من الطيور المهاجرة الى سهول شرقي العراق أواسط أيلول (ولو إن أفراد قليلة تصل قبل ذلك الوقت)، وتستمر بالوفود لتنتشر في معظم البيئات الملائمة لها في البرية العراقية. ومن الملاحظ إن إنتشار طيور الحبارى في العراق يقتصر على المنطقتين الوسطى والجنوبية في المناطق شبه الصحراوية وحتى تخوم الأراضي الزراعية، ويقتصر انتشارها في شمالي العراق على بوادي نينوى، وهذه الأراضي تشكل نسبة تزيد على 50% من المساحة الكلية للبلد. ومن الواضح أن بضعة أفراد من طيور الحبارى تبقى على مدار فصل الصيف في أماكن متفرقة من العراق حيث شوهدت بصورة نادرة من قبل الصيادين والسكّان المحليين.

شأنها شأن رفيقاتها في الدول المحيطة بالبلد، تتصدّر الحبارى قائمة الطرائد لدى الصيادين والصقارين في العراق. ويحتل صائدو الحبارى في العراق منزلة أعلى من منزلة صائدو الطيور الأخرى، لذلك تجد هذه الطيور المسكينة هدفاً لجميع الصيادين مهما كلفهم أمر اصطيادها، فالأمر يتجاوز قيمتها كطريدة ! وممّا يزيد الأمر سوءً، إن تقييم مهنية الصياد وخبرته يعتمد على عدد ما اصطاده من طيور الحبارى! وبذلك أضحت الحبارى حلم كل صياد في االعراق. أضف إلى ذلك، فإن الحبارى تعد فقرةً أساسيةً في عملية تدريب صقور الصيد لذلك تجدها مطلوبةً ولوغلى سعرها، حيث يتم تهريب أعداداً حيّة كبيرة منها كل عام الى دول الخليج لأغراض تدريب الصقور. ولهذا الغرض، يتوسّل المهربون شتى الطرق لإخراج الطيور حيث ينفَـق الكثير منها خلال هذه العملية.

إن من أكثر طرق صيد الحبارى شيوعاً في العراق هي بواسطة بندقية الصيد، وكذلك بالصقور، وبإمساكها ليلاً في مجاثمها حيث تُصطاد حيّةً. وتعد الطريقة الأخيرة (والمتبعة في مناطق سهول شرقي دجلة) من أخطر الطرق وأكثرها فعالية في جمع أعداد كبيرة وخطيرة من الحبارى المهاجرة. ففي بداية كل موسم هجرة تتركّز أعداد الحبارى في تلك المناطق (سهول العمارة وواسط وديالى) بوفود أعداد متزايدة للمنطقة. وبالمقابل، نجد أعداداً كبيرة من الصيادين الذين يستعملون طريقة الجمع الليلي بإزدياد كلما زاد سعر "زوج الحبارى" في تلك المناطق. في موسم الهجرة من العام الحالى (2011) وصل سعر "الزوج" الى 500$ ، والغريب في الأمر هو مشاهدة مزايدات وصفقات بيع من خلال قنوات التلفاز على مرئى ومسمع الجميع! والأخطر من ذلك، هو تزايد هذه المشكلة سنة بعد أخرى خلال العقود الأخيرة تبعاً لأزدياد الطلب على الحبارى المهرّبة خارج البلد وازدياد أسعارها.

لقد أثّر الضغط المتزايد للصيد والصقارة الغير مُنضبطة سلباً على أعداد طيور الحبارى وكذلك على الخريطة الطبيعية لأنتشارها في العراق. فبالأعتماد على كمّ كبيرٍ من إفادات الصيادين والسكان المحليين القدماء، نجد الفرق الكبير والخطير في أعداد وانتشار الحبارى في العراق جلياً ، فالحبارى، كونها طائراً نفور، تهجر مناطقها الطبيعية نازحة الى مناطق أكثر نأياً بعيداً عن تقليعة الصيد والإزعاج المتزايدين التي إن لم تتسبب في قتل الطيور فأنها ستشكل عامل في إزعاجها وإبعادها عن أماكنها الطبيعية، تلك المناطق الجديدة التي قد لا تُوفّر لها الغذاء والمأوى المناسبين. وبالتأكيد، بإستمرار هذا الواقع المأساوي، سنشهد عن قريب المزيد من تناقص طائر الحبارى المهدد في العراق في العقود القادمة.

في ذاتِ الوقتِ الذي يُلخّص فيه هذا التقرير وضع الحبارى الآسيوية في العراق وأهمية العراق كجزءٍ من أهم مناطق تشتية هذا الطائر المهدد في الشرق الأوسط، بالإضافة الى الأعداد الخطيرة التي تُصطاد منه سنوياً وتهريب قسم كبير منها، نجد من الضروري مناشدة الجهات الحكومية المعنيّة لوضع حدٍ لإنهاء أو التقليل من مخاطر هذه المشكلة في العراق. وسعياً لهذا الهدف، نقترح الإجراءات التالية لتلافي خسارة أعداد أكثر من طائر الحبارى الآسيوية في العراق:

1. **<u>الأجراءات المُلحّة/الحرجة</u>** :
   - تثقيف الصيادين حول وضع الحبارى في العراق بواسطة منهج منظّم ومبسّط وفعّال، وذلك لألقاء الحُجّة على من يتعذرون بعدم معرفة الوضع الحرج لهذا الطائر، وإعداد المنشورات والملصقات ذات العلاقة بالصيد المستدام.
   - توعية منتسبي وزارة الداخلية العاملين في نقاط التفتيش وإعداد منشور مُبسّط ومُصوّر لهذا الغرض.
   - ضبط المنافذ الحدودية وتوعية كوادرها من الكمارك حول الطرق المستخدمة في تهريب الحبارى وكذلك حول الإجراءات المتبعة في التعامل مع الطيور المضبوطة ، وإعداد منشور مُبسّط بهذا الشأن.

2. **<u>إجراءات طويلة الأمد</u>** :
   - إصدار التعليمات وتفعيل التشريعات ذات العلاقة بالصيد والصّقارة في العراق.
   - تفعيل وتنشيط إتفاقيات الـ CITES و الـ CBD والإتفاقيات الدولية الأخرى ذات العلاقة في العراق.
   - إعداد الخطة الوطنية الخاصة بطائر الحبارى الآسيوية في العراق.
   - توفير محميات تضم البيئات المثالية لهذا الطائر وإدارتها بالصورة المثلى، وخصوصاً في أماكن شرقي ميسان وواسط وجنوب-شرقي ديالى حيث تتركز أعداد الحبارى المهاجرة.

مجموعة من 17 من طيور حبارى معدة للتهريب (المصدر: ***CITES Presentation***)

مظفـر عبد الباقي – قسم الطيور في منظمة طبيعة العراق (mudhafar.salim@natureiraq.org)